

تكریم

ليس من شك في أن وزير التقاليد بطل من أبطال الجيل المصرى الحديث ! وفذ من أفذاذ هذا العصر الذى نعيش فيه ، ودعامة من دعائم هذا العهد الذى نستمتع بما يسوق إلينا من خير وما يخطر علينا من بر ، وما يغمرنا به من إحسان !! وليس من شك في أن كل تاريخ يكتب لتصوير الحياة المصرية في هذه الأيام لن يستطيع أن يهمل اسم وزير التقاليد ، ولا أن ينسى جهوده الرائعة البارعة في تصوير العقلية التى يراد ان تفرض فرضا على المصريين . والقالب الذى يراد أن تصب فيه نفوس المصريين . ومن المحقق أن اثنين ، واثنين ليس غير من وزراء هذا العهد السعيد سيبقى اسمهما في تاريخ مصر إلى زمن غير قصير هما رئيس الوزراء ووزير التقاليد .

وليس معنى هذا أن زملاءهما لم يتحدثوا ما هو خليق بالذكر ، جدير بالتفكير والتسجيل فلن ينسى التاريخ لوزير الداخلية براعته في المحافظة على النظام ومهارته في إقرار الأمن وتفوقه في حماية الدولة من رئيس الوفد وأصحابه حين يغيرون على أحياء القاهرة أو على المدن والقرى والأقاليم فسيذكر الناس مع الإعجاب الذى لاحد له خطف رئيس الوفد وصاحبه من قنا ، وسيذكر الناس مع الإعظام والإكبار تسليح الجنود لحصار سمنود وإلغاء إجازات الضباط وإمساك المديرين في أقاليمهم أيام العيد ، وسيذكر الناس - مع الشاء الجزيل والشكر الجميل - حفر الخنادق وإقامة الأسوار ، وصف السيارات والعربات حول زفتى يوم زارها رئيس الوفد وصاحبه . لكن هذه الأشياء كلها على جلال خطرهما وارتفاع شأنها ، وعلى أنها قد أقامت لمصر مجدا مؤثلا ، وكسبت للدولة نصرا مؤزرا ، ليست طريفة ولا مبتكرة ، وإنما هى تقليد أو شئ يشبه التقليد كان يأتيه رئيس الوزراء حين كان يتولى وزارة الداخلية في عهده القديم والجديد . ففضل هذه الأعمال الجليلة يرجع إليه أكثر مما يرجع إلى وزير داخليتنا القائم . وإذا أذن الله للوزارة بطول البقاء وامتداد أسباب الحياة فقد يأتى وزير الداخلية من الأعمال ما يقرنه إلى زميليه العظمين .

كوكب الشرق في ٣٠ - ٦ - ١٩٣٣ .

ووزير الزراعة خطب وله أحاديث وله صولات وجولات ، ولكنه على ذلك كله حديث عهد بالوزارة ، لاتظهر شخصيته بارزة تفرض الإعجاب على الناس إلا إذا دار عليه العام وحدث في حياتنا الزراعية حدث جديد يشبه الأحداث السياسية والتعليمية . وكان لنا وزير للحقانية كاد يفرض شخصيته فرضا ويضطر حزب الاتحاد إلى أن يقيم له ، لانقول حفلات التكريم ، بل النصب والتماثيل لولا أن هذه الشخصية أدركها الضعف في منتصف الطريق فضاعت بالبدارى ، وضاعت بها البدارى ، وطاحت قضية البدارى بهذا الوزير واثنين من أصحابه .

ومر الآخرون من وزراء هذا العهد بمناصبهم مر الطيف ، لم يتركوا آثارا ولا أحداثا كبارا حتى قال الانجليز إن وزارة صدقي باشا وزارة رجل واحد في حقيقة الأمر ، فالآن تصحح الحوادث رأى الانجليز وثبتت أنها وزارة رجلين : رئيس وزرائنا الذى يستريح في فرسايل ، ووزير التقاليد الذى يتعب في القاهرة ويتعب غدا في الاسكندرية .

فليس غريبا إذن أن تقام حفلات التكريم لوزيرينا العظيمين فهما من غير شك أهل للتكريم ولأكثر من التكريم ، إنما الغريب ألا تقام هذه الحفلات إلا من حين إلى حين مرتين أو مرات في العام . ولو أن المصريين يعرفون الجميل لأهله ويقدرّون حسن الصنيع لمن يتولاهم بالخير ويمسهم بالمعروف لاتصلت حفلات التكريم للوزيرين الجليلين ولاصبحا في تكريم وأمسيا في تكريم وباتا في تكريم . ولكن هذا أقل ما يجب على مصر لهما من الشكر وأيسر ما تؤدى إليهما مصر من الشناء .

لهذا لم نفهم هذه الحيرة التى ظهرت واضحة جليلة في خطبة وزير الزراعة حين أراد أن يتكلم باسم الوزراء وباسم حزب الشعب في تكريم القائد العظيم لحزب الاتحاد ، فقد كان وزير الزراعة حائرا حقا يلتمس العلل والأسباب لهذا التكريم الذى ظهر فجأة وطراً على غير انتظار ، ويحاول أن يرد الأمر إلى نصابه فيضيف شيئا من فضل وزير التقاليد إلى رئيس الوزراء ، ويرد شيئا من فوز حزب الاتحاد إلى تأييد حزب الشعب له وعطفه عليه . لم نفهم هذه الحيرة التى ظهرت على وزير الزراعة وهو الذى إذا تكلم في مجلس زانه ، وإذا نطق أطلق بالشهد لسانه ، وإذا دعا البيان انقاد له البيان في استسلام واذعان . ففضل وزير التقاليد أظهر من أن ينكر وخطر وزير التقاليد أجلى من أن يرتاب فيه . ولولا أن بعض الظن إثم لأشفقنا على وزير الزراعة أن يكون قد أوجس خيفة من هذا التكريم الفجائى ، وظن أن له أسبابا يجهلها الناس وأسرارا لا يقف عليها إلا

الراسخون في العلم . ولكن الأمر أيسر من ذلك فمآثر وزير التقاليد بادية لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وأول مآثرة من مآثر وزير التقاليد أنه نهض وحده بتمثيل حزب الاتحاد في الوزارة منذ زمن بعيد ، منذ أبعد عنها ماهر باشا ، ومنذ مرض وزير الخارجية ، فكان واحدا بين زملائه لكنه احتمل الأمانة على ثقلها ، وأدى الواجب على وجهه واحتفظ بعلم الحزب مرفوعا ، وبلوائه منشورا خفقا . أليس ذلك وحده يكفي لأن يقيم له حزب الاتحاد حفلات التكريم إذا أشرق الصبح ، وإذا دنا المساء ، وإذا أظلم الليل .

بلى ، فكيف إذا كانت لوزير التقاليد مآثر جاوزت حزب الاتحاد ، لا أقول إلى الأمة المصرية وحدها ، ولا أقول إلى الشرق العربي وحده ، بل أقول إلى العالم المتحضر كله . فوزير التقاليد هو الذى أنشأ المجمع اللغوى . وليس يعنينا أن يكون المجمع قد وجد ، أو لم يوجد وعمل أو لم يعمل فذلك شيء ينبغي أن يكون في الدرجة الثانية أو الثالثة من التقدير . إنما المهم أن المجمع قد صدر به المرسوم وذكر في خطبة العرش ، وكتبت فيه الصحف ، وخوطبت فيه دول الشرق والغرب ، وهيت له بعثة وسيؤلف من غير شك في يوم من الأيام . وأنت تعرف أن هذا المجمع ليس مقصورا على المصريين ، ولا على الشرقيين ، بل هو يتناول الشرق والغرب جميعا ، فلا غرابة في أن ينهض المصريون من حزب الاتحاد بتكريم وزير التقاليد ، ولا غرابة في أن تنهال الأوسمة من الشرق والغرب على وزير التقاليد فإذا أضيفت إلى هذه المآثرة مآثرة أخرى ينعم بها الأجانب طول فصل الشتاء من كل عام ، وهى مآثرة الرقص والتمثيل والغناء في الأوبرا وما تكلف وزير التقاليد من إكراه البرلمان على أن يرصد لها الآلاف رغم الأزمة ورغم وزير التقاليد ، لم نشك في أن الأجانب مقصرون حين لم يشتركوا مع المصريين في تكريم وزيرنا العظيم ويزداد تقصير الأجانب نكرا إذا ذكرت هؤلاء المحاضرين الذين دعاهم وزير التقاليد من بلاد الانجليز والفرنسيين وأنفق عليهم المئات من الجنيهات ليثقفوا الأجانب ويفقهوهم في آدابهم أألسنت ترى أن من الحق على الأجانب لو أنهم يحسنون الشكر لمن يستحق الشكر أن يقيموا لوزير التقاليد حفلة تكريم واحدة على أقل تقدير . ولوزير التقاليد مآثر أخرى مهما نقل ومهما نكتب فلن نحسن تصويرها ، فهو الذى قص جناح الجامعة وطرد استقلالها من مصر وهو الذى ضيق حلود التعليم العالى وأخضعه لقيود أقل ما يقال فيها إنها لا تلائم آمال مصر ولا حاجتها ولا كرامتها . واحذر كل الحذر أن تنظر إلى هذه الأعمال على أنها إساءة إلى مصر أو إفساد لأمورها فلم يخدم مصر كما خدمها وزير

التقاليد بسياسته الشيطانية لأنه فرض على المصريين أن يقدرُوا أمور التعليم وفرض على الأحزاب السياسية المعارضة أن تجعل مسألة التعليم فى أول برامجها السياسية لتصلح منها ما أفسده هذا العهد . ولو لم يئن الله على مصر بوزير التقاليد لظلت مسائل التعليم مهمة محرومة من الإصلاح فى غير نظام ولا اطراد . أما الآن فقد أصبحت مصر واثقة بأن بناء التعليم فيها سيستأنف من جديد وسيقام على أساسه الصحيح يوم ترد إلى مصر حريتها الصحيحة فلو لم يكن لوزير التقاليد إلا هذا الفضل لكان خليقا أن يكرم مرات فى كل يوم لا فى كل عام .

رجلان اثنان سيحفظ التاريخ الحديث اسميهما على أنهما من أكبر المحسنين إلى مصر : رئيس الوزراء لأنه نبه الشعب المصرى إلى واجبه فى الإصلاح السياسى أحسن تنبيه ، ووزير التقاليد لأنه نبه الشعب إلى واجبه فى الإصلاح التعليمى أحسن تنبيه . وستستقبل هذه الوزارة فى يوم من الأيام ، وسيرى رئيس الوزراء ووزير التقاليد أن المعارضين الذين يخاصمونهما اليوم سيقومون لهما حفلات التكريم أجمل وأروع وأبدع من الحفلات التى تقام لهما الآن فى حزب الشعب أو حزب الاتحاد .